السمك فاصابوا شيئاً كثيراً منهُ فاوصاهم ان يحترسوا عليهِ حتى يرجع من تقديم قرابين الشكر للآلهة على نعمها عليهم . فرجع اخوتهُ لهُ ان يدأوا بالاكل قبل تقديم القرابين فغضبت عليهم الآلهة وعاقبتهم

وما كان للصوم الاختياري تاثير في قمع النفس وتهذيبها صار يستعمل لهذا الغرض وتمي الناس سببهُ الاصلي ولكن لا يزالون يعتقدون انهُ واسطة مرضاة الآلهة

(سيأتي البقية)

أجراء الحيوان وطبائعها

تولد حيوانات على درجات مختلفة من البلوغ فبعضها ينهض على قدميهِ في اليوم الاول من ولادتهِ ويتبع امهُ ماشياً كما ترى في الخيل والبقر والعجل . وبعضها يولد ضعيفاً لا حول لهُ ولا حيلة كجرو الكلب والفار . ولا بدَّ من سبب وغرض لهذا الاختلاف كما سيجيء

قال احد الباحثين في هذا الموضوع ان خشف الغزال الاحمر يستطيع الوقوف والمشي وراء امهِ بعد ولادتهِ بدقائق قليلة لكن امهُ لا تركن الى ذلك بل تخفيهِ بين الاعشاب وتبعد عنهُ وتراقبهُ عن بُعد وتعود اليهِ مرةً بعد أُخرى لترضعهُ او تنقيهُ من الامطار والعواصف كأنها تخشى ان بفاجئها مفاجئ وخشفها صغير لا يستطيع الجري معها فتخفيهِ عن الابصار الى ان تشتدَّ قوائمهُ ويصير قادراً على الجري فيجمو من الخاطر بخفتهِ

والظاهر ان هذا النوع من الغزال أكثب للقدرة على المشي حالاً ولادتهِ في بلاد تقدر احوالها الى مشي الصغير منهُ ولا خوف عليهِ فيها اذا لم يعدُ عدواً وهو صغير فصارت القدرة على المشي حال الولادة غريزة فيهِ . ثم تغيرت احوال البلاد او انتقل هو الى بلاد أُخرى يضرُّهُ المشي فيها صغيراً قبل ان يصير قادراً على العدو وتجاوز من الاعداء بخفة الاقدام فلجأ الى اخيهِ ليتبع صغارهُ من المشي ويخفيها عن الانظار حفظاً لها من الخاطر

وقال آخر اني راقبت الغزلان في سهول لابلاتا باميركا الجنوبية فرأيت الغزالة تقف امام الصياد وهو كلبٌ فارسٌ ومعهُ كلابهُ وتقف خشفها بجانبها في اول الامر مبهوتاً ثم يعدو عدواً سريعاً مبتعداً عنها الى ان يصير على نحو اثني قدم منها فيختفي في نقرة من الارض او بين اعشابها باسطاً عنقهُ حتى لا يراهُ احد ويبقى كذلك الى ان تصل امهُ اليهِ . فاذا فعلت

اولاً واقعةٌ في مكانها الى ان يدنو الصياد منها ويعلق عليها كلابهُ فتهرب حينئذٍ ولكن ليس في الجهة التي هرب فيها خشفها بل في الجهة المقابلة لها . ويكون هربها في اول الامر بطيئاً فتسير لمؤبنا مسافة قصيرة ثم تقف كأنها تقصد ان تغري الكلاب باتباعها حتى اذا رأت منها الجدَّ وراءها ورأت انها ابعدتها كثيراً عن خشفها فأمعنت عليهِ منها اطلقت قوائمها للرياح وعدت على اشد سرعتها تنجو بنفسها

وقال انهُ راقب الحملان في تلك السهول فوجد اول ما يفعلهُ الحمل حال ولادتهِ النهوض على اقدامهِ حتى اذا استطاع ذلك جعل همهُ الرضاعة من امهِ ثم صار يتبع كل شيء يبعد عنهُ ويهرب من كل شيء يقترب اليهِ . فاذا كانت امهُ بعيدة عنهُ ودنت منهُ هرب من وجهها ولم يعرفها ولا عرف صوتها ولكنهُ اذا رأى انساناً او فرساً او كلباً مبتعداً عنهُ جرى في اثرهِ . غير ان هذه الغريزة تفارقهُ حالما يصير يميز امهُ عن غيرها

وقال انهُ رأى الغنم التي نُقلت الى تلك البلاد منذ ثلاثة قرون فتبدَّت فيها قصر صولها وقل خطرها وعادت اليها غرائز الغنم البرية فصارت النجعة منها تلد حملها على الطريق وهي سائرة مع القطيع وفي اقل من خمس ثوانٍ يقف على قوائمهِ كأنهُ ابن يوم او يومين ويعدو وراءها وهي مسرعة لتلحق بالقطيع من غير ان تقف لترضعهُ شيئاً من لبنها

ويقال ان الارانب البرية تستطيع العدو حال ولادتها وكذلك الجرذان المعروفة بخنازير الهند . اما اجراء الكلاب والقطط فلا تستطيع ذلك كما لا يخفى بل تبقى ترحف زحفاً بضعة ايام كأنها تتمرَّن على المشي تمرناً الى ان تشتد قوائمها . ولعلَّ غريزة المشي من الصغر مفقودة منها او غير منتقلة بالارث اي ان الدافع لظهورها غير قوي والاعضاء التي تقوم بها غير شديدة فلذلك يتأخر ظهورها . ولكن لو عاشت القطط البرية اسرباً واضطرَّت ان تمشي معاً دائماً والاَّ فالقطة التي تتأخر عن سربها تفقد حياتها لصارت اذا ولدت وهي سائرة في سربها لا يخرج من اجرائها الاَّ الذي يستطيع المشي وراءها حال ولادتهِ فيعيش دون سواهُ ولا يبقى النسل الاَّ منهُ . اما اذا بقيت تعيش منفردة كالقطط البيتية فاذا دنا المخاض من واحدة منها لجأت الى وجرها وولدت فيهِ فتبقى اجراؤها مختفية الى ان تشتد قوائمها فلا تقوى فيها غريزة المشي حال الولادة بل قد يكون ضررها اكبر من نفعها لانها تعرِّض الاجراء لمخاطر لا تستطيع اتقاءها فيتأخر ظهورها كثيراً

وراقب ايضاً كثيراً من اجراء القطط والارانب ونحوها من الحيوانات في اليوم الاول من ولادتها فوجد انهُ اذا وضعها على فوج ورفعهُ عن الارض قليلاً دبَّت عليهِ الى ان تصل الى

طرفه تشعر حينئذٍ بانها اذا مشت ايضاً وقعت عنهُ وهي لا ترى ذلك لانها تكون عمياء حينئذٍ ولا اختبرتهُ في سالف عمرها ولكنها تشعر به شعوراً بقوَّة موروثة فيها فتتمسك باللوح بيديها ورجليها خوفاً من الوقوع وقد تصيح كأنها تستغيث بأمثالها . وكان عندهُ سخلة مائية فكان اذا وضعها على اللوح تدبُّ عليهِ الى ان تقع عنهُ . وجرَّب ذلك فيها مراراً عديدة في سنين كثيرة فبقيت تقع عن اللوح كما وضعها عليهِ . اي ان اختبار سنين كثيرة لم يفدها قدر ما افادت اجراة القطط والارانب من الغريزة الموروثة فيها . ولكن لا يعلم الاَّ الله مقدار الوف السنين التي تعلَّمت فيها اسلاف القطط والارانب اتقاء الوقوع عن الاطراف

وقد تكون الغريزة في صغار الحيوان قوية ولكنها تعاق عن الظهور بضعف الاعضاء فاذا قويت الاعضاء بدت الغريزة على اكملها. مثال ذلك ان يدي الهرة تقوى قبل رجليها فتظهر فيها غريزة التسلق قبل غريزة النزول فاذا خاف جرو القطة من امر وكان بجانبهِ شجرة صعد عليها مسرعاً ولكنهُ اذا بلغ اعلاها تعذَّر عليهِ النزول عنها لان يديهِ تقوى قبل رجليهِ فتساعدهُ يداهُ على الصعود ولكن رجليهِ لا تساعدانهِ على النزول

وفي القطط غريزة موروثة تظهر فيها كلما رأت كلباً وهي انها تزبئرُّ وترفع ظهرها وتشخر وتتخرَّم لتقتل . وفيها ايضاً غريزة مسح الوجه وملس البدن والفرو والوثب على كل جسم صغير متحرك امامها كرة كان او فارة او ما اشبه . قال المستر مورغان انها تميز الفيران برائحتها وان كلب الصيد يفرق بين بيض الدجاج وبيض الدجاج بالرائحة

والظاهر ان المشاعر كلها تنمو في صغار الحيوان سريعاً فالشعور بالبرد والحر يظهر فيها من حين ولادتها ولذلك تلتصق بابدان امهاتها للدفء . والشعور بالملموسات يظهر في الصغر ايضاً فاذا لمست انف جرو الهرة في اليوم الثاني من ولادتهِ ادار رأسهُ حالاً دلالة على انهُ شاعر بما لمستهُ بهِ . واجراة الارانب تشعر بالمس بل بالنفخ في اليوم الاول من ولادتها . واذا طارت ذبابة امام وجه الخرنق حرَّكت رأسهُ واذنيهِ ولو كان عمرهُ اقل من يوم . واذا اذيب الملح في الماء ووضع قليل منهُ في فيهِ في اليوم الاول من عمرهِ حاول مجهُ يدلُّ دلالةً على ان قوة الذوق تكون ظاهرةً فيهِ حينئذٍ لكنهُ لا يستعمل يديهِ جيداً لنزع الاشياء التي تزعجهُ الاَّ بعد اليوم السابع اما ارانب خمالايا فتحوكُ ابدانها باقدامها في اليوم الثاني من ولادتها .

ووجد الاستاذ بريران خنازير الهند تتجنَّب ما فيهِ صعتر او كافور وتلحس ما فيهِ سكَّر ولو كانت مغمضة العينين وعمرها بضع ساعات . ووجد الدكتور ملس انها تلحس ريشة مغموسة في مذوب السكر وتنفر من ريشة مغموسة في مذوب الصبر وهي في اليوم الاول من عمرها .

ووضع بعضها في صندوق فيهِ سكر وملح فحسّت الملح مرةً واحدة ولم تذُقهُ ولكنها حسّت السكر مرارًا وكانت تعود اليهِ دائمًا وتلعسهُ مرةً بعد أُخرى

وتولد اجراء الارانب والقطط والكلاب مغمضة العيون فلا ترى شيئًا حين ولادتها . ثم تتفتح عيون الارانب في اليوم العاشر الى الثاني عشر وعيون القطط في اليوم الثامن او التاسع وعيون الكلاب في اليوم الحادي عشر الى الثالث عشر . واما عيون خنازير الهند فتكون مفتوحة حين ولادتها ولا يمضي عليها سبع عشر ساعة حتى تصير ترى جيدًا وتطرف عيونها . ولا تطرف القطط عيونها الاَّ في اليوم الحادي عشر من عمرها والارانب في اليوم الرابع عشر والكلاب في اليوم الخامس عشر اي بعد ما تتفتح عيونها بيومين او ثلاثة ايام . والظاهر ان هذه الحيوانات لا ترى الاشياء البعيدة اولاً ولو فتحت عيونها . ويكون الشم في الكلب حينئذٍ اقوى من النظر فيعتمد على شمهِ اكثر مما يعتمد على نظرهِ

واجراء الكلاب والقطط والارانب تكون طرشاء حين ولادتها ثم تظهر فيها قوة السمع في اليوم الثامن في القطط والعاشر في الارانب والسابع عشر في الكلاب . وقد تسمع هذه الحيوانات قبل ذلك ولكن لا يظهر عليها من حركات آذانها او نحوها انها سامعة فيراد بالسمع هنا ظهور ما يدلُّ على ان الحيوان سامع

وقد افاض الكتَّاب في الكلام على الرضاعة . ولا نعني بالكتَّاب هنا الذين يكتفون بالاقوال والآراء بل الذين يشاهدون ويراقبون ويمتحنون ثم يصفون ما شاهدوهُ ووجدوهُ واستنتجوهُ . وهم متفقون على انهُ اذا وضعت حملة الثدي في فم الحيوان حال ولادتهِ طفلاً كان او جروًا اخذ يرضع منهُ بل يرضع كل شيء يوضع في فيهِ فقد وجد الاستاذ بريير ان خنازير الهند التي عمرها من ٨ ساعات الى ١٦ ساعة اذا فُصلت عن امها ساعتين ثم وُضع في افواهها اناييب فيها مذوب الحامض الطرطريك والصودا والغليسرين رضعت منها كما ترضع ثدي امها وتبلع السائل الذي فيها كما تبلع اللبن كأن الجوع يعدمها التمييز بينهُ وبين سواهُ . بل ترضع الانبوب الفارغ كما ترضع الانبوب الملآن اذا كانت جائعة كأن مجرد لمس الشيء للفم يحرك فيهِ غريزة الرضاعة

ولكن كيف يهتدي الصغير الى ثدي امهِ . اما طفل الانسان فلا يهتدي الاَّ بعد تفتيش طويل فاذا عثر بالحلمة التقمها والاَّ فامُّهُ تضعها في فيهِ . واما اجراء الحيوان فالظاهر انها تهتدي بالرائحة على ما بيَّنهُ الاستاذ بريير فانهُ قطع عصب الشم من اجراء الكلاب قبل ان تبصر فلم تعد تهتدي الى بطياء امها بل صارت تدبُّ على صدرها وتطنها

وترضع كل ما يلمس افواهها وهي قبل ان تقطع عصب الشم منها كانت تهتدي الى اطباء امها حالاً . اما الدكتور ملس فيظن انها تجد الثدي باللمس فقط وان اجراء القطط تجد الثدي باللمس ايضاً وتدنو من بطن امها بحرارته وهذا رأي غيره من الباحثين في هذا الموضوع اي ان حرارة بطن الام هي التي تجذب الاجراء. والام نفسها تدفع اجراءها الى ثديها اذا لم تجدها من نفسها واذا وجدت ان ثديها غير ظاهرة لاجرائها قامت وربضت ثانية على وضع آخر لكي تظهر جيداً ويسهل على الاجراء الوصول اليها وكثيراً ما تنام على ظهرها لهذه الغاية . والنجمة اذا وجدت حملها ضعيفاً لا يستطيع الوقوف انهضته برأسها ويديها حتى يقف ثم ترضخت فوقه ووضعت ثديها في فيه

وقال المستر هدسن ان الحملان البرية في سهول اميركا تحاول الوقوف على قوائمها حالما تولد ثم تحاول الرضاعة . وهي ترضع كل ما يصل اليه فمها ولو كان جزة صوف من صوف امها واخيراً تهتدي الى ضرع امها بما فيه من الرائحة الشديدة او بشيء مثل ذلك والاَّ لماتت جوعاً

وذكرت احدى السيدات انها شاهدت الخنازير حال ولادتها عاجزة عن الارتشاد الى ثدي امانها ولو لم تضع الثدي في فيها لماتت جوعاً

غير ان هذه الغرائز او الاعمال الموروثة لا تتقن الاَّ بالممارسة ولذلك ترى صغار الحيوانات كثيرة اللعب والحركة كأنها تمارس غرائزها لتقوى فيها بل انها قد تمارس بعض غرائزها وهي نائمة لشدة تسلطها عليها

وقد ادَّعى احد العلماء من عهد طويل ان اجراء الهرَّة تميز رائحة الكلب قبل ان تراهُ فتثور في نفسها ثائرة العداوة القديمة بينهما فتزبئرُّ وتشخر . قال كنت الاعب كلبي بالامس ثم دنوت من سلَّة فيها اربعة اجراء صغيرة عمياء من اجراء القطط عمرها ثلاثة ايام. فلما ادنيت يدي منها انتفشت وشخرت وتقلت كأنها قطط كبيرة رأت كلباً بجانبها . وامتحن غيرهُ ذلك فوجد ان اجراء الهرة تزبئرُّ كلما شمت رائحة قوية ولو كانت غير رائحة الكلب. ووجد آخر انها تفعل ذلك ايضاً كلما أزعجت بغتةً ولكن رائحة الكلب تؤثر فيها تأثيراً لا ينكر . وقال غيرهُ انهُ كان يضع اجراء القطط مع الكلاب واجراء الكلاب مع القطط فلا يراها تفعل ذلك

ويظهر من مجموع الشواهد ان القطط صغاراً وكباراً تتنفش حينما ترى الكلاب ولاسيما اذا رأتها بغتةً او خافت من ان تسابقها على طعام او اذا شاهدت امانها تفعل ذلك لكن رائحة الكلب وحدها لا تكفي لتنبيه العداوة الغريزية فيها. ومن رأي كثيرين من الباحثين في هذا الموضوع ان الحيوانات تقتدي بامانها سواء اظهار الخوف من اعدائها او تفعل ذلك بالاختبار .

روى بعضهم انهُ رأى حملاً صغيراً بجانب كلب من الكلاب التي تأكل الحملان وهو ساكن مطمئنٌ لا يبدي حركةً ثم اقبلت ام ذلك الحمل فلما رأت الكلب بجانبهِ اضطربت اضطراباً عظيماً فاضطرب الحمل ايضاً وعدا اليها مسرعاً . وقال آخر انهُ كان يقتل الاسد ويضع جلدهُ على ظهر الفرس والدم يقطر منهُ والفرس ساكن مطمئن مع أن المشهور عنهُ انهُ يخاف من الاسد خوفاً شديداً ولو لقي الاسد مرةً لما اظهر هذا الاطمئنان . لكنَّ ذلك لا ينفي وجود الخوف بالفطرة ثم يظهر ويقوى بالاختبار وقس على ذلك سائر الغرائز

ومن اوضح الامثلة ما ذكرهُ انعام مورغان نقلاً عن بشلدر قال " ان السنجاب يلد ويربي صغارهُ في اوكار يبنيها لها في اعالي الاشجار . والوكر منها كبير مغطًى بالاغصان والاوراق ولهُ باب صغير يدخل منهُ اليهِ وفيهِ تولد الصغار وتقيم الى ان تبلغ اشدها . وذات يوم عثرت على وكر منها فيهِ اربعة سناجيب صغيرة فاخذت منها اثنين وكانا صغيرين جداً ولا دليل على انهما رأيا خارج وكرهما . ولما اتيت بهما الى بيتي لم يكونا يستطيعان ان يأكلا شيئاً . وبعد الليا والتي فتحت في سقيهما اللبن بانبوبة دقيقة . ولما كبرا وقويا صارا يأكلان الكعك ويشربان اللبن واطلقت سبيلهما في غرفة فكانا يثبان من مكان الى آخر ويتعرشان على الستائر كانهما في الحراج وطنهما . وذات يوم اعطيتهما قليلاً من البندق وهو طعام السناجيب في حراجها تكسر قشرهُ باسنانها وتأكل لبهُ باسرع من لمح البصر فنظرا اليهِ وجعلا يقلبانهِ ثم اخذ واحدهما بندقة وحاول كسرها وبقي نصف ساعة يعضها باسنانهِ الى ان كسرها ولحس ذاق لبها فاستطابهُ واكلهُ واقتدى بهِ اخوهُ فاكلا سائر البندق ومن ثم تركا اللبن والكعك وصار البندق طعامهما

وبدا منهما حينئذٍ امر آخر يدلُّ على غرائزهما وذلك انهما كانا اذا رأيا البندق زائداً على حاجتهما يذهبان بهِ ويحاولان اخفاءهُ في مكان مستور خلف الكراسي او الموائد واذا وضع احدهما البندقة هناك ضغط عليها بقوة في زغب البساط وحرَّك يديهِ حولها كانهُ يغمرها بالتراب ثم يتركها حاسباً انهُ غمرها واخفاها الى حين الحاجة اليها كما تفعل السناجيب في الحراج وهو لم يرَ سنجاباً يفعل ذلك قط . والسناجيب تطمر الجوز في الارض على هذه الصورة ثم تعلم مكانهُ بالرائحة وتحفرهُ وتاكلهُ وقت الحاجة اليهِ "

والعمل الذي عملهُ هذان السنجابان غريزي محض لم يتعلماهُ من احد ولم يكن لهُ من فائدة لها ولكنَّ الطبع غلاَّب . وسنعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى

وليس غرضنا من ذكر هذه الامور مجرَّد التفكهة بمطالعتها بل اعراء القراء الكرام بالانتباه لما يقع تحت نظرهم من امثالها فان درس الطبيعة وما فيها من افكه الدروس واعلقها بالنفوس